

تخرج حسن من الصناعة وعلى الفور وجد عملاً في إحدى ورشات الحدادة والخراطة والبرادة في منطقة الزيتون في غزة، وبراتب معقول، مع وعد بالزيادة إن أثبت جدارته وقدراته الفنية وبات واضحاً أننا قد دخلنا عصر حياتنا الذهبي بعد سنوات الفقر والقحط.

كنت حينها قد أوشكت على إنهاء دراستي الإعدادية، وإبراهيم ابن عمي كان قد بدأ الثانوية وأخي محمد كان في الثاني الثانوي/ القسم العلمي، تهاني كانت قد أنهت الثانوية العامة وسجلت للالتحاق بدار المعلمات في غزة وتنتظر النتائج في تلك الفترة، مما بدا وكأن الدنيا تتبسم لنا من جديد.

بعد سنوات من الغياب أطل علينا حسن (ابن عمي من جديد) ولكن بصورة جديدة كان قد أصبح رجلاً كبيراً ولكنه قد أعفى لحيته وشعره، ملابس غريبة بصورة موحشة، مثل ملابس اليهود، وقد لبس في عنقه سلسلة ذهبية ووضع حول راسه سلسلة ذهبية سميقة، ويلبس بنطال كابوي متآكل عند ركبته ويبيده علبة سجائر، يبدو تماماً من كوكب آخر، طرق الباب فتحت له ولم أعرفه للوهلة الأولى فوضع أصابع يده بين شعري ناثراً إياه قائلاً: أنت أحمد فعرفته من صوته: أنت حسن؟ فقال نعم فصرخت يا أمي يا محمود هذا ابن عمي حسن قد عاد للدار.

خرج الجميع يجرون من غرفهم تجاه باب الدار وكان حسن قد خطا خطوتين أو ثلاثاً للداخل، وكل من يخرج جارياً يتوقف كمن أصابته صاعقة، ولا يدري ما يقول، كان أول من أفاق من الصدمة أخي محمود، تقدم وسلم عليه وعانقه، سلم عليه إبراهيم وأخذه محمود من يده إلى غرفته ولحقنا به إبراهيم وحسن وأخي محمد وأنا، وذهبت أمي لإعداد الشاي.

وجلسنا في الغرفة وبدأ محمد يستفسر عما جرى معه وكيف وصلت به الأمور؟ وما هي أخباره؟ وهو يحدثنا أنه يعيش في تل أبيب وأنه يعمل في مصنع والد صاحبه اليهودية، وأن وضعه ممتاز، وأنه يسكن شقة مستأجرة ممتازة في يافا، المهم أن لسانه كان ثقيلاً وهو ينطق بالعربية ويكثر من استخدام الكلمات العبرية في حديثه.

أحضرت أمي الشاي ودخلت به لتضعه على الطاولة فسألها: كيف حالك يا مرت عمي؟ أجابت: الحمد لله، فقال: المهم يا مرت عمي أنت كسبتي في خير، طلعت من المخيم وشفيت الدنيا وعشت وأخذت راحتني بدل بؤس المخيم وحرمانه. فقالت أمي متهمكة: (آه شفت الدنيا مع صاحبتك اليهودية)